" الكتابات والنقوش الأثرية بمقبرة الخديوي إسماعيل وأمه خوشيار هانم بجامع الرفاعي "" دراسة تاريخية حضارية "

آسيا زعزوع هواري محمد

المقدمة

قامت النقوش الكتابية بدور مهم بعدّها عنصرا زخرفيا وتسجيليا علي العمائر الإسلامية منذ عصر مبكر وقد عرفت النقوش الخطية في بعض الحضارات السابقة علي الإسلام، ولكن هذه النقوش أخذت أهمية خاصة في ظل الإسلام وذلك لأن معجزة الإسلام الكبرى هي القرآن الكريم، وقد أدرك الفنان المسلم أن الخط العربي يتصف بالخصائص التي تجعل منه عنصرا زخرفيا طيعا يحقق الأهداف الفنية وكثيرا ما أستعمل الخط استعمالا زخرفيا بحتا دون الاهتمام بالمضمون المكتوب

[1]واستخدام الكتابات القرآنية والتذكارية علي جدران الأبنية الإسلامية لم يقصد بها فقط وسيلة للتبرك بالآيات القرآنية أو العبارات الدعائية وإنما كان يقصد بها أن تكون عنصرا زخرفيا بذاتها[2] وقد ساعد علي ذلك ما تميزت به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة والمطاوعة وما فيها من قابلية المدور الرجع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل وما فيها من اختلاف الوصل والفصل مما هيأ لها فرص التطور والزخرفة بطرق وأساليب شتي[3] وهذه المرونة في استعمال الخط العربي وقابليته غير المحدودة علي التغيير والتشكيل ومطاوعته في ملائمته للسطوح والمواقع والظروف وجمالة وروعته الفنية في كل أشكاله سواء كانت الحروف كبيرة ضخمة أم صغيرة دقيقة كل ذلك جعله أكثر ارتباطا بالعمارة بأنواعها في مختلف العصور إذ لم يكتف المعمار بتزيين المباني بالوحدات النباتية والهندسية بل أضاف لها عنصر الخط العربي .

تتضمن هذه النقوش في مجملها نصوصا تأسيسية تحوي اسم المنشئ وألقابه ووظائفه واسم المنشأة والغرض منها وتاريخ البدء والفراغ من الإنشاء , ونصوصا أخري عبارة عن كتابات

تتضمن نصوصا قرآنية أو أحاديث نبوية أو أدعية أو أقوال مأثورة أو قصائد وأبيات شعرية إلي غير ذلك من النصوص التي كتبت علي العمائر [4].

وقد تعددت النقوش الكتابية التي استخدمت في تسجيل الأحداث في العصور الإسلامية المختلفة وانتشرت انتشارا واسعا في جميع ربوع البلدان الإسلامية وتنوعت في أغراضها والهدف المنشود منها فنجد النقوش الصخرية والنقوش الشاهدية ونقوش الإنشاء والتعمير والنقوش الإعلامية ونقوش السكة ونقوش الفنون التطبيقية والزخرفية [5].

وتتمثل أهمية تلك النقوش في تصحيح بعض الأخطاء الشائعة وحسم الخلاف بين المؤرخين بل التأكيد علي صحة ما ورد بالمصادر التاريخية[6], فهي تمدنا بمعلومات موثقة لا جدال فيها تساعد علي إماطة اللثام عن الكثير من الجوانب الغامضة في بعض العصور والفترات , وغير ذلك تعتبر تلك النصوص أهم وأصدق مصادر كتابة التاريخ والملاذ الآمن والدليل الدامغ للحفاظ علي حقوق المنشئين والمجددين والمرممين وإعطاء كل ذي حق حقه .

وقد أدت هذه النقوش دورا كبيرا في الحفاظ علي أسماء أهل الصنعة من خطاطين ونقاشين ومزخرفين وحرفيين علي مختلف مسمياتهم وحرفهم بالإضافة أنها تمدنا بمعلومات موثقة عن ماهية الأثر واسم المنشئ وتاريخ الإنشاء وألقاب المنشئ وربما نجد بها أسماء مهندس أو بعض الصناع الذين شاركوا في إتمام العمل الفني .

كما أمدتنا نقوش وكتابات تلك البحث من خلال تحليل مضامينها بكثير من الألقاب والتواريخ فضلا عن أنواع الخطوط مثل الخط الكوفي الذي كان له السبق في العصر الفاطمي, ثم حل بدلا منه الخط الثلث في العصر المملوكي ثم الخط النستعليق الذي ساد في العصر العثماني , بالإضافة إلى توقعيات الخطاطين والتعرف علي أسمائهم ومن خلالها نتمكن من معرفة أوقات الازدهار والركود في الناحية الفنية لتلك العصر.

وقد تم تقسيم البحث إلي فصلين , حيث يتناول الفصل الأول : الدراسة الوصفية لمقبرة الخديوي إسماعيل وأمه السيدة خوشيار منشئة الجامع بينما يتناول الفصل الثاني : الدراسة التحليلية لهذه الكتابات من خلال تحليل مضمونها وأنواع الخطوط وتحليل الألقاب الواردة

بالنصوص والمادة الخام التي نفذت عليها هذه الكتابات , هذا بالإضافة إلى تدعيم البحث ببعض الصور الفوتوغرافية من تصوير الباحثة .

الخديوي إسماعيل

هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ولد في قصر المسافر خانه بحي الجمالية بالقاهرة يوم 17 رجب سنة 1245 هـ / 12 يناير سنة 1830 م , وكان لوالده إبراهيم باشا ثلاثة أولاد أوسطهم إسماعيل والأكبر أحمد رفعت والأصغر مصطفي فاضل وهما أخوين غير شقيقين لإسماعيل [7] (1) , وكان إسماعيل باشا يانع الجسم ممتلئ قوي البنية ربع القامة عريض الجهة كثيف اللحية والشارب والحاجبين متوسط الطول مستدير الوجه[8] (2).

وقد عني أبوه بتربيته فتعلم مبادئ العلوم واللغة العربية والتركية والفارسية وقليل من الرياضيات والطبعة ثم أرسله أبوه إلي فيينا عاصمة النمسا ليعالج بها من رمد صديدي وكان عمره أربعة عشر سنة فقضي بها عامين ثم انتقل الي باريس ليلتحق بالبعثة المصرية الخامسة التي عرفت باسم بعثة الأنجال وكان بها أخوة احمد رفعت والأميران عبدا لحليم وحسين من أبناء محمد علي فنال في باريس حظا من العلوم الهندسية والرياضية والطبيعة وأتقن اللغة الفرنسية وبهرته باريس وما فيها من جمال وروعة وفتنه وبهذا بدأ ميوله الفرنسية التي لازمته طوال حياته والتي جعلته يسعي ليجعل من القاهرة باريس الثانية عاد إسماعيل إلي مصر في عهد ولاية أبية إبراهيم باشا ولما مات إبراهيم وخلفه عباس الأول شعر إسماعيل وإخوته بكراهية عباس لهم ثم مات محمد علي وزاد الخصام بين عباس وبقية الأمراء فارتحل إسماعيل إلي الأستانة وعينه السلطان عبد المجيد عضوا بمجلس أحكام الدولة العثمانية وانعم علية بالباشوية ولم يعد إسماعيل الي مصر إلا بعد مقتل عباس وفي عهد عمة سعيد لقي منه إسماعيل عطفا شديدا وعهد إلية برئاسة مجلس الأحكام وأوفده سنة 1271 هـ/ 1855 م في مهمة سياسية لدي نابليون الثالث إمبراطور فرنسا , وقد جعلة سعيد نائبا عنه (قائم مقام) أثناء غيابة عن مصر مرتين الأولي أثناء زيارة سعيد لسوريا سنة 1276 هـ/ 1859 م والثانية أثناء زيارته للمدينة المنورة سنة 1277 هـ/ 1861 م وبعد عودته من المدينة المنورة جعل

إسماعيل سردار للجيش المصري وعهد إليه إخماد فتنة بعض القبائل في السودان فقام إسماعيل بإخمادها دون سفك دماء [9], ولم يكن إسماعيل يفكر في العرش بعد سعيد لان أخوه أحمد رفعت كان أكبر منه وهو ولي العهد ولكن أخاه هذا لقي حتفه في حادث قطار حيث سقطت العربة التي تنقله في النيل عند كفر الزيات وغرق أثناء عودته من الإسكندرية سنة 1275 هـ/ 1858 م وبذلك أصبح إسماعيل ولي العهد , وجلس علي أريكة الحكم في اليوم السابع والعشرون من شهر رجب سنة 1279 هـ/ 1882م وكان عمرة في ذلك الوقت اثنين وثلاثين سنة وتلقب إسماعيل باشا رسميا من الباب العالي بلقب خديوي وقد وفق في الحصول من تركيا علي أقصي ما يمكن من الحقوق والمزايا كي يصل بمصر إلي الاستقلال التام فهذه نزعة مجيدة تدل علي شدة حبة لمصر واتجهت همته إلي توسيع أملاك مصر في أفريقية فأكمل فتح السودان ووصل بحدود مصر إلي منابع النيل وشواطئ المحيط الهندي اي إلي حدودها الطبيعية وعني بقوة البلاد الحربية بتنظيم الجيش وإنشاء المدرسة الحربية العالية وتسليح الجند بأحدث الأسلحة وتزويد الحصون والقلاع بالمدافع الضخمة ووجه أيضا همته إلي إنهاض البحرية المصرية حربية كانت أو تجارية فرفع علم مصر علي مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر, كما اهتم الخديوي إسماعيل بالعلم والأدب وإنشاء المدارس العالية والمعاهد العلمية وإرسال البعثات وقد برز في عصره كثير من العلماء والأدباء منهم رفاعة الطهطاوي وعلي باشا مبارك وغيرهم كما انتشرت الصحف التي أدت إلي تنوير الرأي العام كما قان بأعمال العمران مثل فتح الترع وإقامة الجسور والعناية بالزراعة وغيرها من المجالات كما قام بتجميل القاهرة والإسكندرية ليجعلها تماثل أعظم مدن أوربا وأمر بمد الطرق المستقيمة [10].

واشتهر بمشاريعه العمرانية والثقافية والغا الرق وبني مدينة الإسماعيلية والتوفيقية وعابدين وميدان الأوبرا وغيرها, وكان إسماعيل باشا أية في الذكاء والفهم وسرعة الخاطر وقوة التركيز وقوة الشخصية وبجانب الحسنات يوجد الجانب السيئ في شخصية إسماعيل وهو بزخه وإسرافه وعدم تقدير العواقب وضعفه أمام الملذات والشهوات مما أدي إلي كثرة الاقتراض بالربا الفاحش ووقوع البلاد في الديون والتعهدات مما أدي أيضا إلي أثقال عاهل الأهال

بمختلف الضرائب والجبايات لتسديد فوائد الديون المتراكمة ولأنفاق علي المشروعات الكبيرة وسد النفقات الخاصة به [11], في أواخر عهده ونتيجة للأزمة المالية زاد ضغط الدول الأوربية وتدخلها في شئون البلاد الداخلية من إنشاء صندوق الدين إلي فرض الرقابة الثنائية علي مالية مصر ثم تعيين وزيرين أوروبيين في الحكومة المصرية ولما أحس إسماعيل بثقل وطئه هذه الدول وما تفرضه عليه من قيود سعي للتخلص من ذلك اعتمادا علي مساندة الوطنيين ولكن الدول الأوروبية وخاصة إنجلترا وفرنسا ثم ألمانيا سعت لدي الباب العالي واستصدرت منه فرمان بخلع إسماعيل في سنة 1297 هـ/ 1879 م وكان خلع الخديوي إسماعيل وطرده من مصر ثمة مؤامرة أجنبية حبكتها إنجلترا وهي في ذروة مجدها الاستعماري وسارت الدول الأوربية في ركابها وسايرتها دولة الخلافة العثمانية وكانت في اضعف حالاتها ولم يكن عزل إسماعيل بسبب عجزة عن تسديد الديون كما أشاعوا ولكن إنجلترا هي التي كانت تسعي إلى إعلان إفلاس مصر تمهيدا لاحتلالها والسيطرة علي قناة السويس مفتاح بلاد الهند وفي سنة 1305 هـ/ 1888 م انتقل الخديوي إسماعيل إلي الأستانة وقام بقصر (أمرجياني) علي البسفور وقد ظل مقيما بالأستانة حتى توفي في يوم 2 مارس سنة 1313 هـ / 1895 م وله من العمر 65 عاما ثم نقل جثمانه إلي مصر يوم 10 مارس وشيعت جنازته رسميا في الإسكندرية ثم القاهرة حيث دفن في مسجد الرفاعي الذي أوصي بأن يدفن فيه[12].

كتابات مقبرة الخديوي إسماعيل

وأمه السيدة خوشيار هانم بجامع الرفاعي [13]

– الموقع :

تقع هذه المقابر بالجهة الشمالية الشرقية بجامع الرفاعي المواجهة لمدرسة السلطان حسن بميدان الرفاعي

أسم المنشئ : خوشيار هانم والدة الخديوي إسماعيل

تاريخ الإنشاء : 1286هـ/ 1869 م

كتابات تركيبة الخديوي اسماعيل 1312هـ / 1894 م

رقم 5 بالحجرة رقم 6 , وهذه التركيبة تتكون من ثلاث مستويات من الرخام يعلوها من الجهة الجنوبية الغربية شاهد قبر اسطواني كما يعلو الجهة الشمالية الشرقية شاهد قبر مستدير يعلوه مخدة مربعة يعلوه طربوش .

كتابات شاهد القبر من الناحية الجنوبية الغربية :–

عبارة عن شاهد اسطواني من الرخام بالحفر البارز بالخط الثلث والكتابات منفذة بالتذهيب يتكون من تسعة سطور باللغة العربية بصيغة [14] : – شكل رقم (1)

تاريخ ولادتي

بيت إبراهيم طوي له نور إسماعيل 1244

تاريخ ارتحالي

إن الخديو عزيز مصر قد ثوي

في روضة النور البديع الزاهي

صبت عليه سحائب من رحمة

بشفاعة الداعي عظيم الجاه

والحور والوالدان قالت أرخوا

طاب العلا إسماعيل ضيف الله 1312

كتابات شاهد القبر من الناحية الشمالية الشرقية :– [15]

كل من عليها فان هذا ضريح مصر وسما بين عاجله لالسكن الجنات الدار قلت هو قيل الودود تفضله إسماعيلا

كتابات المستوي الثاني بالتركيبة :-

عبارة عن أربعة لوحات مستطيلة الشكل من الرخام الأبيض بالخط الثلث البارز من سطر واحد بدائر واجهات التركيبة تتضمن آيات قرآنية بصيغة [16] : - شكل رقم (3-2)

الجهة الجنوبية الغربية " بِسمِ اللهِ الْرَّحْمَنِ الْرَّحِيمِ "

الجهة الشمالية الغربية " لَّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخرة خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ " [17] الجهة الشمالية الشرقية "وَقَالَ تَعَالَي وَالَّذِينَ أَمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ "

الجهة الجنوبية الشرقية " لَنُبَوَّئَنَّهُم مَّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ " [18]

كتابات المستوي الثالث بالتركيبة :-

عبارة عن دوائر بها نقوش كتابية علي جانبيها أنصاف دوائر بها زخارف نباتية من الرخام الأبيض والأسود بالحفر البارز بالخط الكوفي ذو الأرضية النباتية من سطر واحد تقرأ [19] : -

الجهة الجنوبية الغربية " إسماعيل باشا خديوي مصر "

الجهة الشمالية الغربية " محمد رسول الله صادق الوعد الأمين "

الجهة الشمالية الشرقية " توفي عام اثنتي عشر وثلاثمائة ألف "

الجهة الجنوبية الشرقية " لا إله إلا الله الملك الحق المبين "

كتابات تركيبة خوشيار هانم أم الخديوي [20] 1303 هـ / 1885 م

رقم 2 بالحجرة رقم 6 وهي تركيبة رخامية من مستويين مقامة علي قاعدة رخامية يبلغ طولها 3,10 م وعرضها 1,10 م

مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية بارزة علي شكل مربعات ومستطيلات نقش بداخلها آيات قرآنية يعلوها من الجهة الجنوبية الغربية شاهد رخامي مستطيل الشكل .

كتابات شاهد القبر :-

عبارة عن لوح مستطيل الشكل يعلوه شكل مخدة مربعة يعلوه تاج مستدير عليه زخارف نباتية بارزة نقش علية من أسفل علي لوح مربع من الرخام بالحفر البارز بالخط النستعليق الفارسي يتكون من أربع سطور كل سطر من بحرين يفصل بين كل سطر والأخر خط أفقي وأسفل النص مستطيل صغير يحوي أسم الخطاط والتاريخ وأعلي الشاهد نصف دائرة تحوي اسمين من أسماء الله الحسني باللغة العربية بصيغة[21] : -

هو الحي الباقي

هذا ضريح كسته شمس دولتنا أم الخديوي إسماعيل أنوارا

قد صار كالفلك الأعلى وزاد سنا وقد سقاه نمير الفضل مدرارا

بالحور والنور قد حفت جوانبه وقد غدا لكمال الفوز تذكارا

من زاره داعيا بالخير أرخه حي الالى محل حاز خشيارا

28 68 79 16 1112راقمه عبد الكريم فايق سنة 1303 هـ

كتابات المستوي الأول بالتركيبة :-

عبارة عن مربعات نقشت بداخلها آيات قرآنية بالخط الثلث الجلي البارز والكتابات منفذة بالتذهيب علي الجهات الأربعة للتركيبة بصيغة [22] : - شكل رقم (4)

الجهة الشمالية الغربية " وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّي إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا

الجهة الشمالية الشرقية وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلهِ / الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ

وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشّاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

الجهة الجنوبية الشرقية بِحَمْدِ رَبَهِم وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقَّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلهِ رَبَّ الْعَالَمِينَ

الجهة الجنوبية الغربية وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدَاً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (23)

كتابات المستوي الثاني بالتركيبة :–

عبارة عن مستطيلات ومربعات نقشت بداخلها آيات قرآنية بالخط الثلث الجلي البارز والكتابات منفذة بالتذهيب تتكون من سطرين يفصل بين كل سطر والأخر خط رأسي موزعة علي الجهات الأربعة للتركيبة بصيغة (24) : – شكل رقم (5)

الجهة الجنوبية الغربية " بِسمِ اللهِ الْرَّحْمَنِ الْرَّحِيمِ " " اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُو الحَيُّ القَيُومُ "

الجهة الشمالية الغربية " لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ "

" مَن ذَا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِأِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ "

الجهة الشمالية الشرقية " وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا " يُحِيطُونَ بِشيءِ مِّنْ "

الجهة الجنوبية الشرقية " عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ "

" وَلَا يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ " (25)

مضامين النصوص

– علي تراكيب القبور:

وقد جاء مضمون الكتابات علي هذه التراكيب التي تعلو القبور أما آيات قرآنية تبشر بالمغفرة والجنة التي أعدها الله لعبادة الصالحين ومن الآيات التي كثر ورودها علي التراكيب آية الكرسي لما لها من فضل عظيم " فعن أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة القرآن اي آية

الكرسي أخرجه الترمذي "[26] أو عبارات دعائية أو قصائد من الشعر كما ورد بالشاهد الذي يعلو تركيبة خوشيار هانم .

– شواهد القبور

نقشت معظمها بالخط الفارسي مثل شاهد تركيبة خوشيار هانم كما أصبح الشاهد يمدنا بمعلومات أكثر عن المتوفى فكان يذكر فيه اسم المتوفى والدعاء له وسنة الوفاة وأحيانا يحتوي علي أبيات من الشعر وذكر تاريخ الوفاة بحساب الجمل في الشطر الأخير من البيت كما ذكر بتركيبة خوشيار هانم .

أنواع الخطوط التي استعملت علي هذه التراكيب: –

خط الثلث :

لعب خط الثلث في القرنين (8-9 هـ/ 14-15 م) دورا هاما كخط تذكاري لا رسمي علي العمائر والتحف الفنية وشواهد القبور يفوق الدور الذي لعبه خط النسخ وذلك لان طبيعة حروف الخط الثلث أكثر رصانة وسمكا وجمالا وامتدادا وليونة من خط النسخ وقد أضفت مظهر العظمة والفخامة التي تناسبت مع عظمة واجهة العمائر المشيدة في القرنين (8-9 هـ/ 14-15 م) [27] واستخدم هذا الخط في تركيبة كلا من الخديوي إسماعيل بالمستوي الثاني وبالمستوي الأول والثاني بتركيبة خوشيار هانم

الخط الكوفي ذو الأرضية النباتية :

ويسمي أيضا الكوفي المخمل أو الكوفي المهاد الزخرفي وتستقر فيه الكتابة فوق أرضية من سيقان النباتات أوراقها التي تشكل بطريقة تتخذ في مظهرها شكلا لولبيا ومن أشهر أمثلته في إيران وفي غزنة وفي جامع السلطان حسن بالقاهرة , ولحق بهذا النوع كتابات تختص فيها الحروف بالجزء الأسفل من الأفريز بينما توزع الزخارف النباتية لتشغل كل فراغ يتخلف بأرضية الكتابة بعد ذلك [28] وقد استعمل هذا الخط في تركيبة الخديوي إسماعيل بالمستوي الثالث

الخط النستعليق :

تأتي تسمية هذا الخط في الأشعار والمرقعات القديمة هكذا " نسخ تعليق " أو " نسختعليق " وبعد ذلك خففت لسهولة الاستعمال وصارت التسمية " نستعليق " ويعرف هذا الخط بين الخطاطين الغير إيرانيين باسم الخط الفارسي كما هي الحال في مصر والبلاد العربية , وهي تسمية شاعت علي أساس أن هذا الخط قد ابتكر ووضعت قواعده في فارس الإسلامية ومنها انتشر إلي سائر البلاد في دار الإسلام وعليه فإن إطلاقها يعني هذا النوع من الخط دون غيره , ويطلق البعض أيضا وخاصة الأتراك علي هذا النوع من الخط اسم " التعليق " غير أن هذه تسمية تعد خاطئة فالتعليق اسم لا يزال يطلق في إيران علي نوع آخر من الخط يختلف في هيئته وكتابته عن النستعليق [29]

ويكتب خط النستعليق بنفس سمك قلم الثلث ويسمي الدقيق منه في التركية " خردة [30] تعليق" والغليظ منه يسمي " جلي التعليق " وقد ورد هذا الخط علي شاهد القبرالذي يعلو تركيبة خوشيار هانم .

أنواع المواد الخام

الرخام :

هو حجر جيري يقبل الصقل واستخدم في زخرفة العمائر لما له من أوصاف مطلوبة كالصلابة ودقة الحبوب والنقاوة وصفاء اللون والشفافية ومقاومة الحوادث الجوية , كما يعد الرخام أحد أهم الموارد التي استعملت في مجال تسجيل الكتابات الأثرية من العصريين المملوكي والعثماني , وساعد علي هذا المميزات الخاصة للرخام والمتمثلة في الصلادة الناتجة عن تكوينه الطبيعي , حيث أن التبلور الناتج من تأثير الضغط والحرارة أثناء تكونه في الطبيعة يساعد علي زيادة حجم حبيباته وتجانسها وقلة مسامتها وزيادة تماسكها [31]

ومن ثم أصبح الرخام بما تميز به من تلك الخصائص من أطول المواد الزخرفية عمرا كما تميزت بعض أنواع الرخام بالمطاوعة وسهولة تفصيلها حسب الحجم المطلوب , وتميز بالجمال

الطبيعي والألوان البديعة ونعومة الملمس والبريق الطبيعي لأسطحه المصقولة إلي جانب سهولة تنظيفه مع ثبات لونه , وقد تعددت مسميات الرخام إما بتعدد ألوانه , أو لتعدد مواطن استخراجه أو استيراده , حيث أطلق عليه حسب لونه مثل الأبيض والأسود والأصفر والأزرق والأحمر والأخضر المرسيني وغيرها من الأسماء [32].

04/03/2014 23:00

شكل (1) : الشاهد الذي يعلو الجانب الجنوبي الغربي من تركيبة الخديوي إسماعيل

بالخط الثلث البارز سنة 1312 هـ/ 1894 م

04/03/2014 23:01

04/03/2014 23:01

شكل (3-2)- من كتابات تركيبة الخديوي إسماعيل من الرخام بالحفر البارز بالخط الثلث الجلي (المستوي الأول) وبالخط الكوفي ذو الأرضية النباتية (المستوي الثاني)

شكل (4) : من كتابات تركيبة خوشيار هانم بالخط الثلث الجلي البارز (المستوي الأول)

شكل (5): من كتابات المستوي الثاني لتركيبة خوشيار هانم بالحفر البارز بالخط الثلث الجلي المذهب تتضمن آيات قرآنية من آية الكرسي وتوقيع الخطاط من أسفل على اليسار بصيغة " راقمه عبد الكريم فايق سنة 1303 هـ"

الخاتمة

تناول هذا البحث إحصاء كتابات تراكيب المقابر وتسجيلها لكل من الخديوي إسماعيل وأمه خوشيار هانم بالجانب الشمالي الشرقي بجامع الرفاعي , وقد قمت بوصف هذه الكتابات من خلال تحليل مضمونها ونوع خطها ومادتها وأسلوب تنفيذها , والخروج برؤية جدية لمضامين تلك النصوص تتخلص في أنها كانت ترجمة صادقة للفكر الإسلامي وصدي واضحاً للعقيدة الإسلامية الراسخة في نفس المسلم مما كان له انعكاساته الواضحة علي الرؤى الفنية لدي الفنان المسلم بوجه عام .

وأوضحت دراسة البحث النصوص القرآنية والتركيز عليها لما لها أثر عظيم للمتوفي , حيث إن معظم الباحثين السابقين اهتموا بكتابات النصوص الشاهدية دون التركيز علي النصوص القرآنية , وتم إحصاءها وتحليل مضمونها ونوع خطها , كما أشارت إلي أهمية النقوش لقيامها بدور إعلامي سياسي وديني , فهي تحدد تاريخ الإنشاء وتاريخ الولادة وتاريخ الوفاة واسم المنشئ ولقبه ووظائفه وأحيانا اسم الخطاط , كما بينت الدراسة في هذا البحث إلي تنوع النقوش مابين نقوش شاهدية ونقوش زخرفية وقرآنية وتنوع المواضيع التي نفذت عليها

الكتابات علي هذه المقابر مثل الشواهد والقواعد الرخامية , وفي النهاية أمدتنا نقوش هذا البحث بمعلومات قيمة عن ما جاء في كتب المصادر الأدبية بنوعيها المختلفة وبخاصة المصادر التاريخية وذلك بتأكيدها أو بنفيها أو تكون قرينة لها .

قائمة المصادر والمراجع

([1]) محمود محمد فتحي الألفي : العمارة الإسلامية في مصر خلال القرن 19 عشر أسرة محمد علي بالقاهرة " رسالة دكتوراة غير منشورة , جامعة القاهرة , 1986 م , ص 17 .

([2]) فادية عطية مصطفي : عمائر القاهرة الجنائزية خلال القرن 13هـ / 19 م " دراسة أثرية معمارية "كلية الأثار , جامعة القاهرة , 2003 م , ص 639 .

([3]) محمد سيف النصر أبو الفتوح : مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة الدينية والمدنية سنة 648 هـ/ 1250 م إلي سنة 784 هـ/ 1382 م , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة القاهرة , 1975 م , ص 123 .

([4]) محمد حمزة الحداد : بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية , الكتاب الأول , " دار نهضة الشرق " , القاهرة , 1991 م , ص 204 .

([5]) محمد حمزة الحداد : بحوث ودرسات في العمارة الإسلامية , الكتاب الأول , ص 205 .

([6]) محمد حمزة الحداد : النقوش الأثارية مصدرا للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ؛ مج 1 , مكتبة زهراء الشرق , القاهرة , 2002 م , ص 16-19 .

([7]) فادية عطية : عمائر القاهرة الجنائزية , ص 277 .

([8]) Deleon, N, Edwim , Egypt under its Khedives ar , the old hause af Bondoage under mosters – , William cloutes and sons limited , olandon, 1882 p. 96-97 .

([9]) الياس الأيوبي : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا من سنة 1863 الي سنة 1879 , المجلد الأول , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1990 , ص 8-16 .

([10]) الهام محمد علي ذهني : مصر في كتابة الرحالة الفرنسيين في القرن 19 , الهيئة المصرية العامة للكتاب , 1995 م , ص 163 .

([11]) أحمد شفيق : مذكراتي سنة (1352 هـ/ 1934 م) , الطبعة الأولي , الجزء الأول , والقسم الأول والثاني من الجزء الثاني , ص 27 .

([12]) علي أحمد شكري: تعليقات علي كتاب تاريخ مصر من عهد المماليك إلي نهاية حكم إسماعيل لجورج يانج , مكتبة مدبولي , القاهرة , 1990 , ص 579 .

([13]) عهدت خوشيار هانم إلي المرحوم (حسين باشا فهمي) وكيل ديوان الأوقاف سنة (1286 هـ / 1869 م) لوضع تصميم المسجد , ولكن العمل توقف عدة مرات بسبب وفاة منشئته سنة (1303 هـ / 1885 م) فدفنت بالجهة الشرقية وبعدها بتسع سنوات لحق بها ابنها إسماعيل فدفن إلي جانب ولدته , وظل العمل معطلا حوالي ربع القرن إلي أن تولي الخديوي عباس حلمي الثاني فأمر بتكملة البناء سنة (1328 هـ / 1910 م).

ولقد أراد مصمم هذا المسجد أن يحاكي مدرسة السلطان حسن في ضخامتها وارتفاعها حتي لا يبدو المسجد كالقزم أمام المارد . فبنيت مداخله عالية مرتفعة تكتنفها العمد الحجرية والرخامية بتيجانها العربية وحليت أعتابها بمزررات الرخام وغطيت مداخلها بقباب وسقوف أحسن اختيارها وحسن زخرفها وتذهيبها .

والمسجد من الداخل مستطيل الشكل مساحته حوالي 6500 مترا مربعا منهما 1767 مترا للجزء المعد للصلاة وباقي المساحة للمدافن وما يتبعها , فإذا دخلنا من الباب الغربي وجدنا مساحة صغيرة ثم تقابلنا حجرة تعلوها قبة زواياها الخشبية محلاة بالذهب والكتابة الخطية الجميلة , ولكل جدار من جدرانها الأربعة باب يؤدي الي المسجد , وفي وسط الحجرة تربة سيدي علي أبي الشباك وسيدي علي الرفاعي , وتوجد بين البابين القبليين حجرة تعلوها قبة زواياها محلاة بالنقوش والكتابة وفي وسطها مقصورة من الخشب المخروط المطعم بالعاج والأبنوس أقيمت علي ضريح سيدي علي الأنصاري .

ومحراب المسجد يقع في وسط الجدار الشرقي وقد غشي بالرخام الملون ويكتنفه أربعة أعمدة رخامية , وبجانب المحراب يوجد المنبر من الخشب النقي المطعم بالعاج والأبنوس , وفي مقابل المحراب دكة المبلغ من الرخام الأبيض ترتكز علي أعمدة وبجانبها يوجد كرسي المصحف ويحمل تاريخ صنعه سنة (1328 هـ / 1911 م) ويحيط بجدران المسجد بخاريات مذهبة منقوشة , كما تتدلي من سقف المسجد ثريات نحاسية عربية ومشكاوات زجاجية مموهة بالمنيا .

وفي الجانب البحري خمسة أبواب : ثلاثة أبواب منها توصل الي المدافن , واثنان يوصلان الي رحبتين بين المدافن , وفي الجهة القبلية الشرقية من المسجد مصلي ومن خلفها سبيل يعلوه مكتب لتعليم الأطفال القرآن الكريم , ويقابله من الجهة البحرية سبيل آخر يعلوه مكتب أيضا . وهناك خلف المحراب حجرة صغيرة بها سلم يوصل لسطح المسجد . وربما كان هذا المسجد أول أثر إسلامي يستخدم في بنائه الأسمنت المسلح علي يد " ماكس هرتز باشا " باش مهندس الآثار العربية حينذاك,(أبو الحمد محمود فرغلي : الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة , كلية الآثار , جامعة القاهرة , 1989م , ص 76-78) الإمام أحمد الرفاعي هو ابن صالح أحمد محي الدين بن العباس , ولد الرفاعي يتيما بجزيرة أم عبيدة قرب واصل بالعراق سنة (512 هـ) , إذ توفي والده وهو في بطن أمه فكفله خاله الشيخ منصور البطائحي . وينسب الرفاعي إلي جده السابع رفاعة , الذي هاجر من المغرب هربا من اضطهاد العباسيين للعلويين في المشرق , فهو بذلك علوي . واستقر رفاعه باشبيلية حيث تزوج وأنجب عددا كبيرا من الأولاد . وقد سافر حفيده يحي إلي الحجاز لتأدية فريضة الحج , وبعد إقامة قصيرة في مكة رحل بعدها إلي البصرة حيث استقر به المقام وأنجب ولديه الحسن الرفاعي وأحمد الرفاعي وقد تلقي الرفاعي علومه الدينية وحفظ القرآن وهو ما يزال حدثا صغيرا , ويقال أنه بدأ يتردد علي حلقات علي يد كبار العلماء وهو في السابعة من عمره وفي مقدمتهم خاله الشيخ منصور البطائحي وعلي الواسطي .كما كان يتردد كثيرا علي الإمام الخرنوبي ويقيم عنده كل عام فترة من الزمن يتتلمذ علي يديه وينهل من علمه وورعه واستمر علي هذا حتي توفي الخرنوبي .

علي أن تردد الرفاعي علي أئمة الصوفية وفقائها لم يشغله من أن يكسب قوته بعرق جبينه فقد زاول الرفاعي كل الحرف حتي لا يعتمد علي أحد وحتي لا يكون عالة الغير , فقد عمل الرفاعي حطابا كما عمل في حمل المياه إلي المنازل وخاصة بيوت الأرامل والعجزة والمساكين في قرية أم عبيدة . ولذلك فقد كان يشترط علي تلاميذه ومريديه أن يكون لهم عمل فإن لم يكن فليبحث , فإن عجز ساعده هو علي إيجاد عمل أو حرفة له , وكان يقول رضي الله عنه : لا ينضم إلي صفوفنا عاطل . وفي الخامسة والعشرين من عمره توفي خاله الشيخ منصور البطائحي بعد أن ولاة خلافة طريقته فأخذ يلقي دروسه في المسجد الكبير بالبصرة وقد عبر عن طريقه في أقوال واضحة صريحة فهو يقول : طريقي دين بلا بدعة وهمة بلا كسل وعمل بلا رياء وقلب بلا شغل ونفس بلا شهوة .

أما رفاعي مصر فهو أحد أحفاده وهو علي أبو الشباك , وفد والده علي مصر سنة 683هـ وتزوج حفيده الملك الأفضل أحد أمراء المماليك في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون , فأنجب منها ولده علي . وقد رحل أحمد الصياد حفيد الإمام أحمد الرفاعي عن مصر قبل أن يولد ابنه علي , فبقي علي في كنف أمه وأهلها في مصر واتخذ طريقة جده الصوفية وأخذ يدعو لها وجعل من سكن أسرته وعائلته في سوق السلاح مقرا للطرق الرفاعية ,علي أن " علي أبي الشباك " حفيد الرفاعي , لم يكن هو أول من دعا إلي الرفاعية في مصر فقد سبقه إلي ذلك الشيخ أبو الفتوح الواسطي الذي وفد إلي مصر من العراق في أوائل القرن السابع الهجري , أي قبل علي الشباك بنصف قرن تقريبا , فأقام بمدينة الإسكندرية وبدأ ينشر الصوفية علي الطريقة الرفاعية ، سعاد ماهر محمد : مساجد مصر وأولياؤها الصالحون , الجزء الأول , المجلس الأعلى للشئون الإسلامية , القاهرة , ص 304-306 .

([14]) مصطفي بركات محسن علي : النقوش الكتابية علي عمائر مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر , دراسة فنية أثرية , رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الآثار , جامعة القاهرة , 1991 , ص 4 .

([15]) فادية عطية مصطفي عطية : عمائر القاهرة الجنائزية , ص 280 .

([16]) حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة , جزءان , أوراق شرقية , بيروت , 1988 م , ص 370 .

([17]) قرآن كريم , سورة النحل , آية رقم 30 .

([18]) قرآن كريم , سورة العنكبوت , آية رقم 58 .

([19]) فادية عطية : المرجع السابق , ص 276 .

([20]) خوشيار هانم : والدة الخديوي إسماعيل كان لها غرام بالفن الجميل وكانت تنتقي الجواري الحسان وتأتي لهن بالمعلمين والمعلمات مصريين وأتراكا وأجانب وكانت في شباها جميلة الصورة وتحب السرور والانشراح وقد أقامت مع حاشيتها الكبيرة في سراي الزعفران بالعباسية , أحمد شفيق : مذكرات سنة (1352 هـ/ 1934 م) , الطبعة الأولي , الجزء الأول والقسم الأول والثاني من الجزء الثاني .

([21]) مصطفي بركات : المرجع السابق , ص 3 .

([22]) ذكرت الباحثة فادية عطية – عمائر القاهرة الجنائزية , ص 273 الآيات ولم تذكر الكتابات , وهذه الكتابات قمت بقرأتها بنفسي من علي التركيبة .

([23]) قرآن كريم , سورة الزمر , , الآيات (75-73) .

([24]) هذه الكتابات قمت بنفسي بقراءتها من علي التركيبة .

([25]) قرآن كريم , سورة البقرة , آية الكرسي , آية رقم 255 .

([26]) علاء الدين بن محمد البغدادي , لباب التأويل في معاني التنزيل , جـ1 , مطبعة مصطفي الحلبي وأولاده بمصر (1375هـ/ 1955 م) , ص 267 .

([27]) مايسة محمود داود : الكتابات العربية علي الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر , 1991 , ص 166 .

([28]) محمد علي حامد بيومي مدكور: كتابات العمائر الدينية العثمانية باستنبول , دراسة أثرية فنية , رسالة دكتوراه غير منشورة , كلية الأثار , جامعة القاهرة, 1991, ص44 .

([29]) حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط , ترجمة محمد التونجي , دار طلاس للدراسات والترجمة , 1993 م , ص401 .

([30]) محمد علي حامد بيومي مدكور: المرجع السابق, نفس الصفحة

([31]) حسين مصطفي حسين : المحاريب الرخامية في قاهرة المماليك البحرية , دراسة أثرية فنية " رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآثار , جامعة القاهرة , 1982 م , ص48-49 .

([32]) محمد عارف : خلاصة الأفكار في فن المعمار , القاهرة , بولاق , 1897 م , ص 71 .